



مجلة التراث

J-ALT

2018/ Vol:8 N°01

Available online at <http://www.asjp.cerist.dz>

علم الفلك عند قطب الأئمة الشيخ أطفيش من خلال تفسيره الموسوم ب: تيسير التفسير

القصر نموذجاً

الأستاذ: بكير بوعروة، قسم التاريخ جامعة غرداية. الجزائر.

الملخص:

يتناول هذا البحث اهتمام الشيخ أحمد أطفيش -المعروف بالعالم العامل- بالسماء والفلك عموماً وبالقمر خصوصاً، وهذا من خلال كتابه لتفسير القرآن المعنون: تيسير التفسير، هذا التفسير القرآني الذي يهتم بشرح آيات القرآن الكريم وتفسير مكنوناته، وتأويل معانيه، على أنني سأركز على جزئية دقيقة هي القمر، وسأبرز من خلالها تمكن وتعمق الشيخ في معارف عقلية دقيقة وهامة. يقع التفسير في 17 جزء وهو تفسير قرآني عادي ولكنه مميز حيث أن ثقافة الشيخ الواسعة أعطته طبيعة وطعماً علمياً يظهر بوضوح خاصة في باب العلوم، لدرجة أنني وضعت بحثاً كاملاً عن أقواله وآرائه في القمر، وقد حاولت الوصول لنتائج مهمة، وفيها حاولت فيه الإمام بأبرز ما أورد الشيخ عن القمر، حيث وجدت أن الشيخ كان مُلمّاً تقريباً بكل ما يمس القمر في الجانب العلمي فضلاً عن الشرعي، كما أورد كما هائلاً من المعارف والمعلومات المكتسبة، وأيضاً امتلاك الشيخ للروح الناقدة، التي جعلته يستمد أفكار علماء أو يستنير بهم أو يحتج بهم في شرح أو فهم أو الاستدلال بفكرة ما كالعربي والأخفش وهما من العلماء الكبار الموسوعيين في الحضارة العربية الإسلامية وكما استعان بغيرهما أيضاً، ويبرز ذلك خاصة في أمور عجيبة كمحو القمر أو انشقاقه والمنازل الشهرية الخاصة به، كما استند على أحاديث نبوية كريمة لتفسير هاته القضايا الشائكة.

Astronomy at Tycoon Sheikh Imam tfayyesh through his interpretation of unmarked: facilitate interpretation (Moon model)

This research addresses interesting Sheikh AMHAMED ETTFIYECH -known as the working world-sky and astronomy in General and especially the Moon, and that by writing to interpret the Koran, entitled: Taysir Ettafsir , that interpretation which Qur'anic explanation

Verses of the Quran and interpret the heart, and its interpretation, I'll focus on partial minutes is the Moon, which enables the highlight and deepen knowledge in important and accurate mentality.

Situated 17 interpretation part is plain but Quranic interpretation so special that gave broad nature and culture Sheikh scientifically bait clearly shows especially in the Science section, so that I fully developed from his words and his views on the Moo

And had tried to reach important results, in which it tried to highlight literacy gave Sheikh about the Moon, where I found the Sheik was aware of nearly everything he touches the Moon in the scientific side as well, as reported by the tremendous amount of knowledge

And had tried to reach important results, in which it tried to highlight literacy gave Sheikh about the Moon, where I found the Sheik was aware of nearly everything he touches the Moon in the scientific side as well, as reported by the tremendous amount of knowledge

The information gained, and also possess critical spirit Sheikh, that made him draws their ideas or scientists or informed their protest to explain or understand or infer the idea as Arabi and alakhesh

Two senior scientists the encyclopedic in Arabic-Islamic civilization as used elsewhere, too. As the Moon erasing or bolting, based on interpretation of Prophetics Hadiths Gracious these thorny issues.

مقدمة:

يتناول هذا البحث اهتمام الشيخ أحمد أطفيش المعروف بقطب الأئمة¹ بالسماء والفلك عموماً وبالقمر خصوصاً، وهذا من خلال كتابه الموسوم: "تيسير التفسير"، هذا التفسير القيم الذي يهتم بشرح آيات القرآن الكريم وتفسير مكنوناته، وتأويل معانيه، ولكنني سأركز على جزئية دقيقة، وسأبرز من خلالها تمكن وتعمق الشيخ في معارف عقلية دقيقة وهامة.

إن من بين أهم أسباب اختيار هذا الموضوع هو ميلي للعلوم العقلية كما فعلت في الماجستير والدكتوراه²، كما ساهمت هوايتي بنصيب كبير في اختيار هذا الموضوع الهام والشيق، أما منهجية البحث فكانت على شكل عرض وتحليل، بهدف إظهار أفكار القطب واستيعابه وبحته في كل المواضيع بشكل مميز ودقيق، وبالطبع اطلاعه وتمكنه من علم الفلك وفي جزئيات دقيقة جداً ومهمة للغاية.

ومنه فإن إشكالية الموضوع هي على الشكل التالي:

ماهية كتابات الشيخ أطفيش عن القمر في شقه العلمي من خلال تفسيره القيم الموسوم بتيسير التفسير.

وقد قسمت مداخلتي في العناوين التالية:

1. القمر ومنازله السماوية

أ. علاقة القمر بالمنازل:

2. موقع القمر ودوره وآثاره

محو القمر

3. الأهلة

رؤية الهلال

4. مصير القمر يوم القيامة

5. القمر وحساب الزمن

6. سجود القمر لله عز وجل وحكمته

7. انشقاق القمر

8. النتائج

¹ أحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش: (1237-1821هـ/1332-1914م وهو أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصر الحديث، له أكثر من 140 مؤلف في مختلف المجالات ومنها تفسيرين، فأما في باب الفلك مثلاً: فقد ألف 3 كتب وهي: مطلع الملك في فنّ الفلك، و مسلك الفلك، وشرح القلصادي في الفلك، وهي على شكل مخطوطات. للمزيد أنظر: مج مؤلفين، معجم أعلام الاباضية من القرن 1هـ إلى 15هـ قسم المغرب، نشر جمعية التراث، القرارة غرداية الجزائر، 1420هـ/1999م، ج:4، ص: 835.

² في مرحلة الماجستير كان موضوعي: تاريخ علماء الفلك بالأندلس في الفترة الأموية وعصر ملوك الطوائف، أما في الدكتوراه فهو: القمر في الحضارة الإسلامية، محاولة لرصد علاقة القمر بالتاريخ والعلم خلال العصر العباسي.

إن القرآن الكريم يزخر بالكثير من الآيات الكريمات التي تتناول السماء والنجوم والكواكب والشهب والشمس والقمر والنيازك، ولعل الكثير من آيات القرآن الكريم تصب في هذا المجال¹، وهو ما يجعل إدراك هاته المعارف مهما، وأيضا فهو يلزم مفسري القرآن الكريم أن يخوضوا في غمار هاته الآيات²، ويشرحوها ويفسروا غامض معانيها، لذا كان لابد عليهم أن يمتلكوا الحد الأدنى من العلوم العقلية، فضلا عن النقلية ليستطيعوا تفسير مثل تلك الآيات الكريمات وفهم مقاصدها أو تأويلاتها، وكل ذلك يكون بناءً على ما معاني هاته الآيات الإلهية، واعتمادا على معارفهم المكتسبة من العلماء والمفكرين والمتخصصين في مختلف العلوم الشرعية الدينية والعلوم العقلية الدنيوية³.

وعلى هذه الشاكلة فقد جاء تفسير الشيخ الفاضل أحمد أطفيش في "تيسير التفسير" وهو التفسير القيم والمكثف من خمسة عشر جزءا كاملا، حيث يتناول فيه مختلف الظواهر الفلكية والعلمية بالشرح والتفسير والتأويل اعتمادا على العلوم التي اكتسبها من هنا وهناك، ومن بين ما فسر القطب أطفيش في مختلف أجزاء هذا الكتاب القيم الآيات الكونية المختلفة، والتي تعج بها كتبه التي منها تيسير التفسير، ولما كانت معارف الشيخ قيمة وكثيرة في علم الفلك، وما عداها من العلوم والمعارف، فلقد اخترت أن أبدأ الكتابة في الجانب الفلكي، وأن أبدأ بأقرب هاته الأجرام للأرض، ألا وهو القمر، ولعل الله يوفقي لاحقا في مواصلة بحثي في الأبواب الأخرى كالشمس، والكواكب، والمذنبات، الشهب، والنيازك، إن شاء الله.

سأحاول في ما يلي أن أذكر أهم التفاسير والشروح والمعارف التي قدمها قطب الأئمة الشيخ أطفيش عن جُزْم القمر، وعلاقته بالأرض، ومنازله، وجُزْأه السماوي، وأيضا فكرة عن الأهلة، والتقويم وحساب الزمن، وغير ذلك.

القمر منازل السماوية

أبدأ بالآية الكريمة: قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾⁴، أي قدرنا سيره في منازل، أو قدرنا نوره في منازل، ومنازل القمر كما عرفها قطب الأئمة الشيخ أطفيش: "عبارة عما يقطعه القمر في يوم وليلة، وذلك أنه يحتفى ليلتين من آخر الشهر، أو أقل أو أكثر لمزيد قربه

¹ هناك 30 آية حول كسملوجية الكون، و300 آية تضمن كلمة السماء بمغازي فلكية أو جوية أو عقائدية، للمزيد أنظر: جمال ميموني، نضال قسوم، قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم، دار المعرفة، بولوغين الجزائر، 2002، ص: .

² روي بأن أبا الحسن الأنباري يتدارس مع عمر الخيام في كتاب المَجَسَّطِي الفلكي، فقال بعض الفقهاء المتشددون للأنباري مستنكرا ما تدرس؟ فقال: أفسر آية من كتاب الله تعالى، فقال الفقيه: وما تلك الآية؟ فقال الأنباري قول الله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾، فأنا أفسر كيفية بنائها. أنظر: ابن فندمه، ابن فندمه (ت: 565هـ)، تنمة صوان الحكمة، لاهور، 1351، ص: 97.

³ نفسه، ص: 65.

⁴ سورة يس، الآية 39.

من الشمس"، فالشيخ يفترض أن الشهر 28 يوما تضاف له يومين بما يعرف بليلتا المحاق أو بالسرار، ولكن يدخل في تفاصيل دقيقة جدا فيقول: أنه قد يختفي أقل من ذلك فيكون الشهر حينئذ 29 يوما، وقد يختفي في سراره لمدة تتجاوز الثلاث ليالي، ويفهم من كلامه وبوضوح أن يقصد: ليلة قبل المحاق وليلة المحاق والليلة الموالية، ولكنهما في المتوسط هما ليلتا محاق، إذا طرحت من 30 ليلة فتصير 28 إذا قسمت على مدار القمر فتأخذ تقريبا كل منزلة 12° و 51° دقيقة وهي أسباع الدرجة، وأن نصيب كل برج منزلة وثلث المنزل، ويضيف تفصيلا آخر فيقول بأن أهل الهند يدققونها 27 منزلة وثلث يوم ولكنهم حذفوا الثلث¹، وقد استقر العرب أخيرا على 28 منزلة.

إن "الشمس تستر دائما ثلاث منازل ما هي فيه بشعاعها، وما قبلها بضياء الفجر، وما بعدها بضياء الشمس"، صدقا هنا أعجبت بشرحه وتدقيقه في الأسباب فالشمس هنا تغطي ثلاث منازل الخبر هنا عادي والتفصيل الممتع لما أشار بأن الشمس تغطي منزلتها بشعاعها أما التي تسبقها فبضوء الفجر -الذي هو من أثر الشمس- وما بعده بنور الشمس الباهر، فلم يعمم نور الشمس على ضوء الفجر بل فصله بافتراضه نور الفجر وهذا ما يدل على براعة مذهلة في الفهم وبل في التعبير والتحرير.

ثم يغوص في المعارف المكتسبة فيقول بأن الرصاد حسبوا "المستتر" يقصد المنزل المستتر بضياء الفجر، ثم بضياء الشفق، فوجدوا أن الفرق بين ظهور منزلتين 13 يوم تقريبا، وهو ميزان كنت أعرفه ولكن لم أفهم كنهه إلا بالاطلاع على هاته الفكرة النيرة من مفسر قرآن في وقت مضى فما أعلى كعبه وكم هي متواضعة معارفي وأنا أدعي الاهتمام بتاريخ العلوم.

ثم يشير إلى أنه أحيانا وبسبب حركة القمر فإنه لا القمر ولا حتى الشمس لا ينزل تلك المنازل تحديدا بل قد يحيد عنها بمسافة، وهو ما يعرف عند آخرين بقصور القمر²، وأما كنه هاته المنازل فهي تتشكل أحيانا من نجمة واحدة وتارة من اثنتين ومرة بثلاث بل 5 أو 6 أوقد تبلغ 30 نجمة مع منزلة

¹ الشيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيش، تيسير التفسير (ت1322هـ/1914م)، تحقيق وإخراج: الشيخ إبراهيم طلاي، المطبعة العربية، 11 نجح طالبي أحمد، غرداية، 2000/1421م، ج: 12، الآية 43.

وهو الأمر الذي يؤكد مستشرق بارع مهتم بالفلك وعلومه للمزيد أنظر: ¹كارلو نلينو، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، مكتبة الدار العربية للكتاب، بيروت، 1412هـ/1993م، ط: 2، ص: 117.

² أطفيش، المرجع السابق، ج 12، ص 43-44. وانظر: نفسه، ج 6، ص 191.

ويؤيد هاته الفكرة علماء كثر وللمزيد أنظر: الزنجشيري، (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزنجشيري جار الله)، (538هـ/1143م)، تفسير الكشف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج: 4، ص 19. وأنظر أيضا: أبو حيان الأندلسي، (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين)، (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، ج: 9، ص: 67. وأنظر أيضا: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر "XE مصر" للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، {XE القاهرة}، فبراير 1998، ج: 12، ص: 34.

الشيء¹، وأن ثمة بعض المنازل بدون نجوم حتى مثل منزلة البلدة، ولكن موقعها أهلها في طريق القمر ومساره أعطاه هاته المكانية بين النجوم².

أما أسماء هاته المنازل القمرية الثمان والعشرين فقد عددها وشرحها مع الآية الكريمة: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ"³. فهي إذن: 1: الشرطين، 2: البطين، 3: الثريا، 4: الدبران، 5: الهقعة، 6: الهنعة، 7: الدراع، 8: النثرة، 9: الطرف، 10: الجبهة، 11: الزبرة، 12: الصرفة، 13: العواء، 14: السماك، 15: الغفر، 16: الزباني، 17: الإكليل، 18: القلب، 19: الشوكة، 20: النعائم، 21: البلدة، 22: سَعْدُ الذابح، 23: سَعْدُ بُلْع، 24: سَعْدُ السُّعُود، 25: سَعْدُ الْأَخْيَةِ، 26: فرغ الدلو المقدم، 27: فرغ الدلو المؤخر، 28: بطن الحوت، إن هذه المنازل جزء من 12 برجاً سماوياً تمر عليه الشمس والكواكب وطبعا القمر موضوع دراستي.

أ: علاقة القمر بالمنازل:

"...القمر سريع الحركة، فعند غروب ليلة الثلاثين يكون القمر قد سار في اليوم واللييلة ثلاث عشرة درجة، فالبعد أكثر من اثنتي عشرة درجة فيرى الهلال، ويكون الشهر ناقياً، وإن اجتمعاً نهار تسعة وعشرين أو ليلة ثلاثين عند الغروب بعد مضي نهار تسعة وعشرين فعند الغروب يكون القمر قد سار في اليوم واللييلة منزلة واحدة، والبعد بينه وبين الشمس أكثر من اثنتي عشرة درجة، فيرى الهلال، ويكون الشهر "تاماً"⁴، وهذا ربط ذكي وبارع بين المنزلة والدرجة والرؤية.

بتلخيص دقيق جداً يقرر التالي: أنه متى كان القمر في برج الحمل، أو الحوت خلف الشمس وبينهما إحدى عشرة درجة رؤى الهلال، وإن كان في برج الجوزاء أو الجدى وبينهما اثنتا عشرة درجة رؤى، وإن كان في برج السرطان أو القوس، وبينهما خمس عشرة درجة رؤى، وإن كان في برج الثور أو الدلو، وبينهما خمس عشرة درجة رؤى، وإن كان في برج الأسد أو العقرب، وبينهما خمس عشرة درجة رؤى، وإن كان في برج الجوزاء أو الجدى وبينهما خمس عشرة درجة رؤى، وإن كان في برج السنبلة، أو وكان بينهما ثلاث عشرة درجة رؤى، وإن كان أقل من هذه الدرج لم يروى لم يظهر إلا بالحساب الدقيق، وهنا أعلن عجز صراحة أن أبر الفارق في الدرجات بين 12° و 15° ولا عجب فأنا بحضرة علامة حقيقي⁵.

¹ يقول هنا بالآلة وأكد يقصد المنظار الفلكي، والحقيقة أنها أكثر من ملايين مملينة من النجوم ومجموعات من المجرات في الكون الفسيح.

² أطفيش، المرجع السابق، ج 12، ص 44. و ج 9، ص: 191.

³ سورة البروج الآية: 1.

⁴ أطفيش، المرجع السابق، ج 12، ص: 44.

⁵ أطفيش، المرجع السابق، ج 12، ص 44-45. لمزيد من التوضيح أنظر الشكل 01 بالملحق.

موقع القمر ودوره وآثاره

ذكر القرآن حركة القمر وموضعه في عدة آيات كريمات ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾¹. فيروي الشيخ أطفيش أن الشمس في السماء الرابعة (على المشهور)²، والقمر موجود في السماء الدنيا، حيث يقسم العلماء والفلاسفة الأقدمون السماء إلى سبع سموات وتحتل الكواكب السبع هاته السماوات وتتموضع في مدارات معروفة، وأنها أيضا كما قال تعالى: "دَائِبَيْنِ" أي يجريان في فلكهما على استمرار، ومجموع كل الأفلاك تسعة فسبعة للسيارة أو الدَّارِي السبعة، ولعلها أكثر أو أقل، وقد وفق الشيخ في قوله ولعلها أكثر أو حتى أقل³، أكثر وذلك لكون الأمر شديد التضارب في آراء المفسرين، وحتى أصحاب الهيئة والفلك، فترك باب البحث مفتوحا، وهذا من ظاهر ذكائه وبراعته، وأنه يرى بأن الأمر يحتاج لدراسة أدق وأوفى، وقد أسعفته معلوماته ومعارفه المكتسبة بمعلومات عن الكواكب الأخرى أوردتها، فعمل هناك كواكب وأجرام أخرى، فطرح إشكالا في محله، وإن كان جوابه اليوم بات محسوما.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁴.

أما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ فقد فسرها الشيخ بناء على عدة آراء، فقد ذكر الله الشمس والقمر، وأدخلهما مع سائر النجوم لشرفهما⁵، وفي قسم آخر من تفسيره قال أنهما جزء من تلك المنظومة الجبارة والرهيبية، وأيضا قدمت لأنها أشد ضوءا، وقيل أيضا لأن القمر كثير الخسوف والشمس قليلة الخسوف⁶، فهنا أورد الشيخ كل الأوجه التي قرأها والتي رويت في القضية وسردها، وهذا إمعانا في الدقة وعرضا لكل الآراء.

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ يجريان في الطلوع والغروب، ويجريان في حركتهما حتى لا يميلان عن مجراهما، وقد يقصد أنها تجري حتى تتم دورته في أجل مسمى، ومن الخطأ من يقول أو يؤول بأن الشمس ساكنة لا تجري، مناقضا قوله: "كل يجري" إذ أنه تعالى الوحيد القادر على ترك هاته الأجرام تجري وتجري باستمرار إلى أجل مسمى⁷.

¹ سورة إبراهيم، الآية: 33.

² أطفيش، المرجع نفسه، ج 15، ص 314-315.

³ نفسه، ج 7، ص 320.

⁴ سورة الأعراف، الآية 54.

⁵ الأعراف، ج 5، ص 77.

⁶ أطفيش، المرجع نفسه، ج 05، ص: 77.

⁷ أطفيش، المرجع السابق، ج 12، ص 238.

وقال تعالى في ذكر مسارها: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾¹. وشرح أمر السباحة فقال مقارنا بين الأشياء الأربع المذكورة في الآية الكريمة وهي: الشمس، والقمر، والليل، والنهار، أنها لا تسبح كما يمكن أن نتصور داخل بحر من ماء أو ما شابه، بل إن المعنى مجازي، فهنا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز، أو حتى الحمل على عموم المجاز، فقد استدل بأن الليل والقمر لا يمكن لهما أن يسبحا في أي شيء، ومنه فإن الجرمين أيضا لا يمكن أن يسبحا لأنه فعل من أفعال الإنسان والحيوان وليس من أفعال الأجرام السماوية، ثم ولكنها قال حقا فهي تسير وتنساب كالحوت في الماء²، وليس كما أشار بعض المفسرين أنها تسبح في موج مكفوف.

ويشرح ذلك في سورة الرعد فيقول أنه ذلّلَهُمَا لما أراد منهما من حركة سريعة واستدارة في منازل لو شاء لزاد في سرعتيهما أو أنقص، أو سكنتا أو دارتا على غير دورانهما المعروف، ولكن مشيئته اختارت ما هما عليه، وجعل حركتهما نافعة في حصول الفصول الأربعة وما يترتب عليها من حر وبر ونبات³.

أما عما يحرك هذه الأجرام السماوية فقد قال بأنه قيل أنها برعاية أيدي ملائكة تسوقها بسلاسل من نور، وذكر بأن الفلاسفة يثبتون لهما حركتين، الحركة الأولى اليومية من المشرق إلى المغرب، والأخرى الحركة الثانية وهي الحركة من توالى البروج من المغرب إلى المشرق، وقال نقلا عن ابن العربي⁴ فإن لهما حركة في فلكيهما، والفلك عنده مثل الماء والهواء، هنا ألاحظ أن الشيخ استعان بابن العربي لتوسيع دائرة المجرى الذي عده بعض المفسرين أنه من الماء فحسب، فأضاف له: من مثل الهواء أيضا(عند العربي) وهو بذلك يحتج في العديد من الأمور المعقدة بغيره من العلماء الذين سبقوه ويستنير بأرائهم في شرحه للأمور خاصة التي لا يبدو أنها يقتنع بها أو عندما يذكرها⁵.

ويسبب حركة الدأب ومسير القمر والشمس فإنهما يؤثران على الأرض بالدوام المستمر في جريهما، ويتجلى ذلك بداية بإزالة الظلمة بنورهما الساطع، وأيضا يؤثران في النبات والحيوان، وإنضاج

¹ الأنبياء، الآية 33.

² أطفيش، المرجع نفسه، ج 7، ص: 320.

³ نفسه، ج 7، ص 219.

⁴ الشيخ الأكبر ابن عربي (560-638هـ/1165-1240 م)، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر، عرف بمذهبه في وحدة الوجود، وكان من أكابر فقهاء المالكية في وقته وكان ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات. للمزيد أنظر: عادل نويهض، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 2، 1409هـ/ 1988 م، ج: 2، ص: 581.

⁵ أطفيش، المرجع السابق، ج 7، ص 320.

الثمار¹، ومعرفة الفصول، قيل أن القمر يلون هذه النباتات²، ومن المنافع الحرميين أنها مؤقتان زمنيان ثابتان، ولذلك وصفهما الله بالحساب.

محو القمر

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾³.

فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ قدم الليل لسبقه النهار، ومنه ينسلخ النهار، وبه تبدأ الشهور العربية ثم قال: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ فيقول الشيخ بنه روي أن القمر كان كالشمس في النور، فكانت شمسان من نور عرشه فمحاه جبريل إلى حاله الآن كذا قيل فالسواد الذي فيه أثر المحو، كما جاء الحديث بذلك، فعن عكرمة: "خلق الله نور الشمس سبعين جزءاً، ونور القمر كذلك، وأزيل منه إليها تسعة وستون، فلها مائة وتسعة وثلاثون جزءاً، فالقمر على جزء واحد، وفي رواية: محاه جبريل ثلاث مرات، وبقي كما هو الآن، وعلى غير هذا يكون المحو بمعنى جعل الليل كما هو من أول، لا محو عن شيء آخر⁴.

4. الأهلة

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁵

سمى هلالاً، لأنه يرفع الصوت عند طلوعه أولاً، ورفع الصوت إهلال، وهو هلال في الأولى، أو في الثانية أيضاً، أو في الثالثة معهما أو هو هلال حتى يحجر بخط دقيق كما قال الأصمعي، أو حتى يبهر ضوءه سواد الليل وعنى بعضهم ذلك بسبع ليال، قيل وكذا في آخره هو هلال، ولا يصح، وبين ذلك فهو قمر⁶.

يقول تعالى: "يَسْأَلُونَكَ" يا محمد "عَنِ الْأَهْلَةِ" السائل معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رضي الله عنهما، فالجمع لأن أقل الجمع اثنان، أو لأحدهما في قوم رضوا هذا السؤال، قالوا يا رسول الله ﷺ يطلع دقيقاً، ثم ينمو حق يكمل، ثم ينقص حتى يكون على حال طلوعه أولاً، ويذهب لم لم يكن كالشمس بحال واحدة، وقيل إن السؤال من اليهود للصحابة يعتبر أن سؤال الصحابة سؤال للنبي ﷺ لأنهم مستفيدون منه

¹ نفسه، ج4، ص 393.

² نفسه، ج 12، ص 43. وانظر أيضاً: نفسه، ج 7، ص 320-321.

³ سورة الإسراء. الآية 12.

⁴ أطفيش، المرجع نفسه، ج8، ص 137. لتوضيح الشكل أنظر الشكل رقم 02 بالملحق المرفق.

⁵ البقرة، الآية 189.

⁶ أطفيش، المرجع السابق، ج1، ص 409-410.

وسائلون له في كل ما أرادوا " قُلْ " لهم " هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ " لأموهم الدنيوية والدينية، وهذا جواب على مقتضى الظاهر، سألوا عن الحكمة في اختلاف تشكل القمر، فقال حكمته أنه مواقيت للناس، إذ لو بقى على شكل واحد لم تتعدد الأشهر، وإن كان سؤالهم عن السبب في ذاته كان الجواب على خلاف مقتضى الظاهر، إرشاداً لهم بأن الأليق أن يسألوا عن الحكمة¹، والنبى ﷺ لم يبعثه الله لدقائق علم الهيئة بل للشرعيات أساساً، وهي مدعمة بآيات كريمات للتأمل والتدبر في خلق الله.

وبعض الأهلة في بداية الشهور قد يطلع كثيرا الضوء لكونه بأمره كان في آخر منزلته في ما بعد مرحلة المحاق، فلما ازداد بعدا ازداد نورا وطلع منبرا، فكل ليلة يزداد جزء مضيء حتى يصير بدرا كله، فيمسي بدرا ليلة أربعة عشر أو في حالة اتساق ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾²، ثم هو لا يزل ينكس إلى أن يتم النكس ومحاقه من جديد.

أ: رؤية الهلال

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾³، يقول الشيخ بأن الهلال "لا يخفى أن الشهر ثلاثون أو تسعة وعشرون بحسب الرؤية، والشرع جاء على هذا لا غير، ويشير إلى أن أهل الميقات قالوا بتعاقب زمن الشهور فالأول ثلاثون، والموالي له تسعة وعشرون، والثالث ثلاثون، ومنه فالحرم ثلاثون وصفر تسعة وعشرون وهكذا" فالشهر الأخير تسعة وعشرون، وأيام السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً بسيطة، وثلاثمائة وخمسة وخمسون كبيسة، وأشهر الأخير منها ثلاثون، ويسمى هذه الحساب بالحساب الوسطى، هنا طرح فكرة جديدة طرحها المؤقتون حول تقسيم الشهر القمري عبر السنة، وفي مقابل هاته الفكرة نجد من يصر على الرؤية مبدأ رئيسياً لرؤية الهلال، وأيضاً نلاحظ معرفة الشيخ بالسنوات الكبيسة والبسيطة ويحدد مفاهيم بعض المؤقتين، وصدقا فأمر الهلال هو أمر شديد التعقيد، والدليل المهازل السنوية الحاصلة في رمضان وشوال وغيرها والفوضى العارمة التي تسود العالم الإسلامي هاته القضية للأسف.

ثم أشار الشيخ أطفيش إلى ضوء القمر وأوجهه فقال: فيزيد مقدار النور في كل يوم، ثم ينقص كذلك، ويبرر الأمر لأن نوره من نور الشمس، بدليل اختلاف تشكيلاته بالقرب والبعد منها، وخسوف بحيلولة الأرض بينهما إذا حاد مجراه، ويقول معقبا: ولا ينبغي أن يختف في ذلك، فإن كانت المعلومات السابقة تبدو أنها معروفة ومتداولة، فإن كلامه الأخير لافت للانتباه حيث قال: ولا ينبغي أن يختف في

¹ سئل ابن الكوّاء علي كرم الله وجهه وهو يخطب فقال: ما السواد الذي في القمر؟ فقال له: قاتلك الله، سل تفقها ولا تسئل تعنتاً، ألا سألت عن شيء ينفعل في أمر دنياك وآخرتك؟ ثم قال: نحو الليل ثم قال: نحو الليل. للمزيد أنظر: محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المعروف بالبرقي (ت: بعد 645هـ)، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، **تج**: محمد التونجي، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، 1403هـ/1983م، ج:2، ص: 241.

² سورة الانشقاق، الآية: 18.

³ البقرة 189.

ذلك، كيف؟ قد يعد بعضهم هذا الكلام من البديهيّات، لكن الحقيقة أن هناك من العلماء من يرفض الأمر، ويرى مثلاً أن الشمس هي التي تدور حول الأرض، وهذا ويا للعجب تأويلاً لآيات ولأحاديث وعلى نصوص شرعية، ثم إن الشيخ عاش في زمانه من يومن بالكتب الصفراء والكثير من ترهاتها ولا يزالون لليوم كذلك للأسف، وما أكثرها في كتب التاريخ والأدب، إلا أن الشيخ هنا يبدو معها حذراً يقظاً.

ثم يواصل شرح الآيات الكريمات عن مظاهر الهلال وأوجهه المختلفة في سياق علمي ولغوي ظاهر فيقول: "حتّى عاد" صار في أواخر سيره لقربه من الشمس في رأى العين "كالغرّجون"، وهو العود الذى بين الشمراخ والنخلة من العرج¹، وظاهر الآية أنه قمر في ليالي الشهر كلها كما هو العرف العام، ولا سيما إذا ذكر مع الشمس، والمشهور عند اللغويين أنه بعد الاجتماع مع الشمس ومفارقتها إياها لا يسمى قمراً إلا بعد مرور ثلاث ليال، وقيل بل حتى ستا وعشرين²، وفيما عدا ذلك فيبقى هلالاً، ومن جديد يسرد الكثير من الآراء سرداً عاماً ولكن لا يشرحها ولا يرجحها، ربما لعدم التخصص.

ثم يشرح رؤية الهلال بدقة حسابية فيقول: إن الشمس والقمر يجتمعان في آخر كل شهر عربي في منزل واحد، ودرجة واحدة، وهو يوم ثمانية وعشرين، فإن كان سير الشمس بطيئاً أو يوم تسعة وعشرين إن كان سريعاً، ثم إن كان البعد بينهما اثني عشرة درجة أو أكثر روى الهلال، وإن كان أقل لم ير مثل أن يجتمعا في درجة واحدة، نهار ثمانية وعشرين، أو تسعة وعشرين عند غروب الشمس، وهنا حدد بدقة معياراً لرؤية الهلال وهو المعيار المعروف بـ 12°³.

4. مصير القمر في يوم القيامة

استشهد الشيخ أطفيش بالكثير من الآيات الكريمات لتعريف مصير القمر انطلاقاً من القرآن الكريم وتفسير آياته، فقد قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾⁴.

¹ الغرجون أو الشُّمْرُخ أنظر: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 8، 1426هـ/2005م، ص 1529. لمزيد من التوضيح أنظر الملحق رقم: 03.

² هناك تفاصيل مهمة عند آخرين وهي أن مراحل القمر هي: الهلال، والطلع، والرمد، والقمر، الباهر، البدر، الطوس، الجلم، الغاسق، الوباس، ونمير، والزبرقان، والمنشق، الواضح، الباحور، الأبرص، الزمهرير، السنمار، الساهور، والسهرة، وطويس، وأويس، وزريق، وذخير، والعقيب، وممير. أنظر: أحمد بن مصطفى اللبّايدى الدمشقي (ت: 1318هـ)، اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء)، دار الفضيلة، القاهرة، ص 38.

³ أطفيش، المرجع السابق، ج: 12، ص 44.

⁴ سورة الزمر، الآية 5.

فقد سَخَّرَ عز وجل الشمس والقمر بجريان لمنتهى دورتهما¹، "لِأَجْلِ مُسَمًّى" لِأَجْلِ محدد وهو المقصود بيوم القيامة².

وقال تعالى في نفس السياق في آية أخرى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ يقصد عدة اقتراحات كما أوردها من خلال مطالعته، فيقول بأن الله يطلعهما الله يوم القيامة من المغرب مجتمعين، وقيل يكونان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار، كما قال أنه يروى ويلقيان في البحر فيكون ناراً وكل واحد أكبر من البحر فيوسعه الله أو يصغرها والله قادر، وقد قيل إن القمر إلى الشمس كالبعوضة إلى فيل، وقيل يجمعان ويقريان إلى أهل المحشر لتشتد الحرارة، وفي رأي آخر قيل بل جمعاً في ذهاب الضوء³.

5. القمر وحساب الزمن

يعد القمر عند العرب والمسلمين جميعاً أساساً شرعياً للتقويم الهجري، ذلك أن الشهر القمري يبدأ من رؤية الهلال في المغرب نهاية الشهر، ويمتد حتى الهلال الظاهر لثاني في الشهر الموالي (هذا على العموم)، ويستعمل من أجل معرفة أوقات العبادات المفروضة، وغيرها من المعاملات الدنيوية، وقد شرحها الشيخ أطفيش من خلال تفسيره شرحاً مهماً، فأما الآيات الكريمات التي تناولت ظاهرة القمر والحساب فهي التالية:

قال تعالى: ﴿...فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾⁴. معنى حُسْبَانًا يجريان على حساب أدوار مختلفة تحسب بهما الأوقات، وبفضل هاته الحركات يتم تحديد دورات للحرث والنسل ونضج الثمار وغير ذلك والعبادات كالحج وتأدية الديون وغير ذلك⁵، ثم قال الله عز وجل: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ والحسبان بمعنى الحساب، أي ذوى حساب، أو علامتي حساب، وقدر وأنهما يجريان بحسبان.

وقال تعالى في سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁶

"...لتعلموا عدد السنين والحساب" فحساب الأوقات من الأشهر بسير القمر والأيام بسير الشمس في العبادات والمعاملات وسائر التصرفات، والمعتبر في التاريخ العربي الإسلامي أن السنة القمرية

¹ أطفيش، المرجع السابق، ج 12، ص 238.

² نفسه، ج 15، ص 420.

³ القيامة، ج 15، ص 419.

⁴ سورة الأنعام، الآية 96.

⁵ أطفيش، المرجع السابق، ج 4، ص 393.

⁶ سورة يونس: 5.

تتفاوت بعشرة أيام وإحدى عشرة ساعة ودقيقة واحدة عن سنة الشمس وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وخمس ساعات وتسع وأربعون دقيقة، وسنة القمر ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثمان ساعات وثمان وأربعون دقيقة، "ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"¹.

وفي آية أخرى قال عز من قائل في سورة الرحمان: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾² "بِحُسْبَانٍ" أي أنهما يجريان بحسبان أو جاريان بحسبان، أي جريان الشمس والقمر ثابت أو يثبت بحسبان والحسبان في اللغة هو أيضاً: الفلك المستدير، وحسبان الرحي استدارتها، وقيل الحسبان ما تدور به الرحي شبه به الفلك، والشمس والقمر يجريان بحسبان ومنازل لا يتعديانها، وقيل المراد حساب الأوقات والآجال، ويدل على الجريان للنهائية³.

والأشهر القمرية اثنا عشر شهراً كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾⁴، وهذه الأشهر هي كالتالي:

(1) المحرم : لتحريم القتال فيه حتى في الجاهلية (2) صفر: لخلو مكة فيه من أهلها، أو لصفرة وجوههم فيه لمرض، أو لصفير إبليس للناس بالقتال بعد المحرم. (3) ربيع الأول وقيل: الأول لأنه صادف أول الخريف (4) ربيع الثاني: والآخر لأنه صادف آخر الخريف. وهما شهران للخصب، (5) جمادى الأولى: لجمود الماء فيهما. (6) جمادى الثانية لجمود الماء أيضاً، (7) رجب: لعظمته في الجاهلية قبل الإسلام أو لثقل حمل الأشجار حتى جعلوا لها عمداً.

(8) شعبان: لتشعب قبائل العرب فيه وتفرقها، وقيل لتشعب الخير فيه. (9) رمضان لاحتراق الذنوب فيه أو لمصادفة الحر الشديد فيه وهو الأصح لأنه لم يختص بالإسلام. (10) شوال: لأن الإبل تشيل فيه أذنابها للقاح، أو لأن قبائل العرب شالت عن مواضعها وتفرقت، أو لأنهم صادوا فيه. (11) ذو القعدة: لأنهم يقعدون فيه عن الحرب. (12) ذو الحجة: لأنه شهر الحج⁵.

¹ أطفيش، المرجع السابق، ج 4، ص 393.

² الرحمان، الآية 5.

³ أطفيش، المرجع نفسه، ج 14، ص 213-214.

⁴ سورة التوبة، الآية: 36.

⁵ أطفيش، المرجع نفسه، ج 12، ص 39-40.

6. انشقاق القمر

تحدث الشيخ أطفيش عن انشقاق القمر وفسر معاني الآية في القرآن الكريم في الآية الكريمة: "اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"¹، في قصة هذا الانشقاق يروى أن جماعة من المشركين تحدثت الرسول ﷺ: إن كنت صادقاً فشق القمر نصفين، نصف على قينقاع، ونصف على أبي قبيس، ووعد الله تعالى أن يعطيه ما سألوا، فقال: «أتؤمنون إن فعلت؟» قالوا: نعم، فكان ما طلبوا ولما رأوه وتأكدوا من الأمر، إذ أنه شق نصفين حتى رأوا حراء بينهما، نصف على الجبل، ونصف دونه، ويروى نصف على جبل أبي قبيس، ونصف على قينقاع، وقال: اشهدوا اشهدوا، وفي رواية أخرى كان نصف على الصفا ونصف على المروة، ولكن المشركين لما رأوا أنه لما انشق قال المشركون: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقال رجل: انظروا السفار فلن يقدر أن يسحر أهل الدنيا كلهم، فجاء السفار فقالوا: رأيناه انشق.

وقد روى في ذلك أحاديث عن ابن مسعود رضى الله عنه، ويروى أنه شق مرتين: مرة بمكة، ومرة بمخى، ويروى مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة، ويروى عن ابن مسعود: أنه رأى القمر شق شقتين مرتين، أشار أن المرتين التي شق فيها القمر هو فقط تأكيد لانشقاق واحد، ثم بعد ذلك عاد فاجتمع، وقيل انقسم لحظة وقيل لا بل لمدة ما بين الظهر والعصر².

7. سجود القمر لله عز وجل وحكمته

قال تعالى في سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾³. فيقال أن العرب عبدت الكثير من الآلهات المتعددة، فقبيلة حمير عبدت الشمس، وعبدت كنانة القمر، أما تميم فالدبران، وقبيلتا لخم وقرش فعبدت الشعري، وضيء الثريا، وأسد عطار، وبيعة المرزم، ومن الناس من عبد البقر وقد ذكر الدواب، فذكرهم الله عز وجل أن كل هؤلاء يسجدون له موحدين خاضعين⁴.

وفي آية أخرى قال عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾⁵ (61)، أي إن سألت أهل مكة "من خلق السموات والأرض،

¹ سورة القمر، الآيات: 1، 2.

² أطفيش، المرجع السابق، ج 14 176-178.

³ الحج 18.

⁴ أطفيش، المرجع نفسه، ج 9 ص 379-380.

⁵ العنكبوت 46.

وسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ" ويجزمون بذلك لما في عقولهم من أن المخلوق لا يقدر على ذلك، "فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ"؟ ويصرفون عن توحيده مع إقرارهم بذلك¹.

8. النتائج:

بعد هذا البحث المتواضع الذي حاولت فيه الإمام بأبرز ما أورد الشيخ عن القمر، وجدت أن الشيخ كان مُلمّاً تقريباً بكل ما يمس القمر في الجانب العلمي فضلاً عن الشرعي، بدرجات متفاوتة ويبقى أن آيات الله عظيمة وجليلة، فمهما فسرت وفسرت فإن ذلك قد لا تفي بالغرض، لا لشيء إلا لأنها من كلام رب العالمين سبحانه وتعالى، ومن من البشر يمكن له أن يفهم كل آيات الله المتشابه وغير المتشابه²، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على قوة المعنى وعمقه هي الإشارات الإعجازية الكثيرة التي تظهر اليوم في كثير من المواضيع العلمية والواقعية، وي في مواضيع معاصرة بواسطة آيات جاءت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

- أورد الشيخ أحمد أطفيش كما هائلاً من المعارف والمعلومات المكتسبة، وهي معارف عجزت أن أدرك بعضها من حقائقها بالرغم من كوني هويًا فلكيًا وباحثًا في تاريخ العلوم.

- شرحت الكثير من المفاهيم باستخدام الصور، وكل هاته المواضيع فهمها الشيخ من دون كل هاته التقنيات الهامة أصلاً.

- عندما نطلع على تاريخ المغاربة والجزائريين المتفوقين بالأزهر عبر التاريخ ندرك أنه فعلاً كان الأزهر فاعلاً خير على الجزائريين وكان له دور مهم في ترقية الكثير من رجالات الجزائر إلى مصاف العلماء الكبار، ومنهم شيخنا الفاضل أطفيش أحمد قطب الأئمة ولكن يبقى سؤال هام يحتاج لجواب واضح، وهو هل ألف أشقائنا كل هذا الكم الرائع من المعارف، وفي مختلف الميادين، وهو سؤال يحتاج بحثاً لإبراز مفاخر وطننا الجزائري.

- تذكرني غزارة معارف الشيخ وعشرات كتبه وتصانيفه المختلفة بالعلماء الموسوعيين الكبار الذين أبحث عنهم كالكندي والبيروني والبتاني، وهذا في مختلف علومهم وكثرة تأليفهم كما وكيفاً، كيف لا وعنوان واحد قد يشمل أكثر من عشر أجزاء، ومنه طبعاً كتاب التيسر.

- في الحقيقة لم يشر الشيخ -رحمه الله- لكل شيء متعلق بالقمر فقد أشار لمعارف كثيرة وترك أخرى ولكن هذا طبيعي جداً، فقد علمت شيئاً وغابت عنك أشياء، ولا ننسى أن الشيخ ومن خلال كل المعارف التي طرحتها وناقشت بعضها، قد أخذتها جميعاً من كتاب تفسير القرآن، غير أنني انبهرت

¹ أطفيش، المرجع نفسه، ج 11، ص 87.

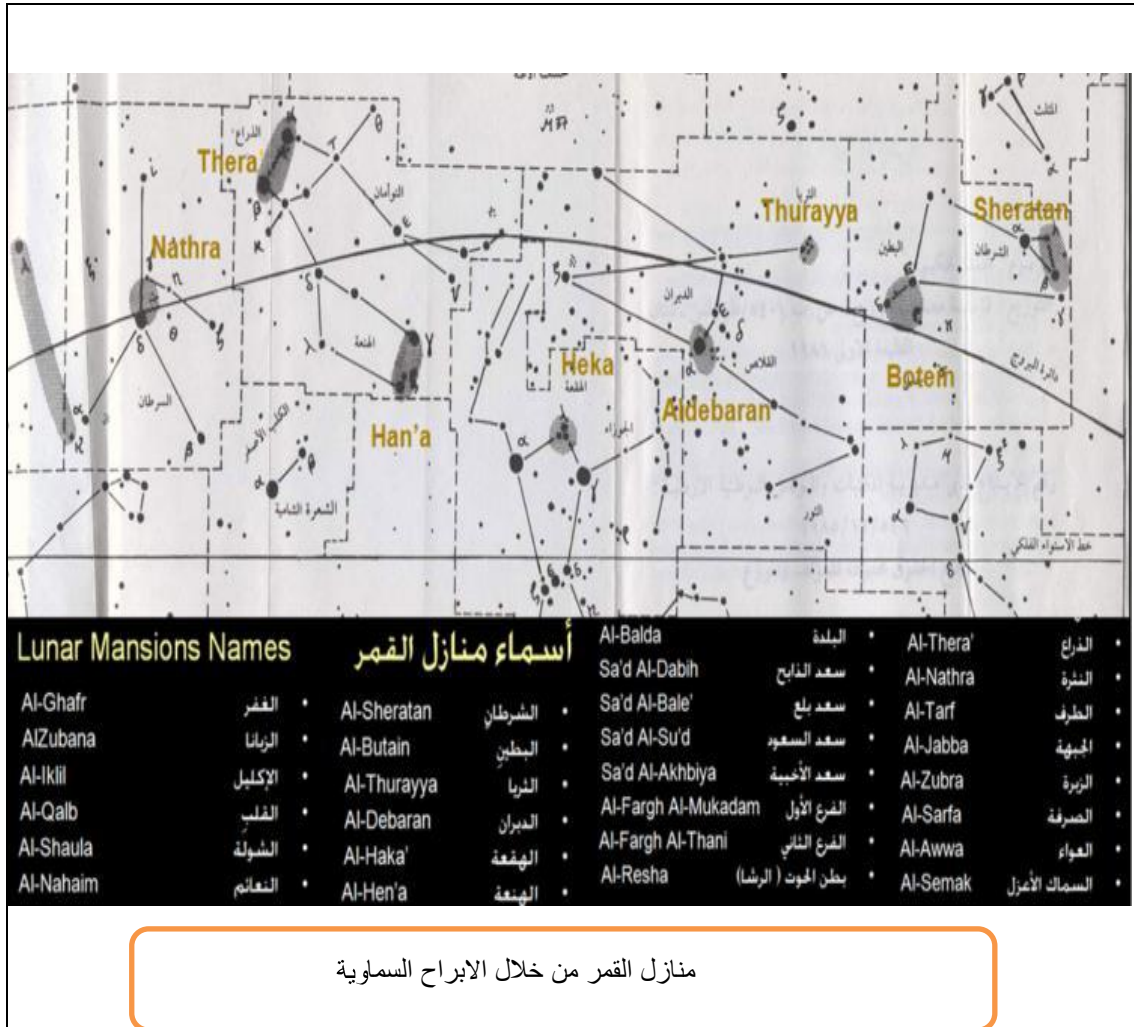
² ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

من الكم الرهيب من المعارف حتى أنني كهوا وباحث في الفلك ذكر معلومات لم أسمع بها أو تركزت وتوضحت لي معلومات كنت أعرفها سطحيا فبت أفهمها من أصولها، مثلا في قضية تغطية منازل القمر بنور الشمس، وهنا مكمن البراعة والتميز.

- يمتلك الشيخ روحا ناقدة، جعلته يستمد أفكار علماء أو يستنير بهم أو يحتج بهم في شرح أو فهم أو الاستدلال بفكرة ما كالعربي والأخفش وغيرهما، ويبرز ذلك خاصة في أمور عجيبة كمحو القمر أو انشقاقه، كما استند على أحاديث نبوية كريمة لتفسير هاته القضايا الشائكة.

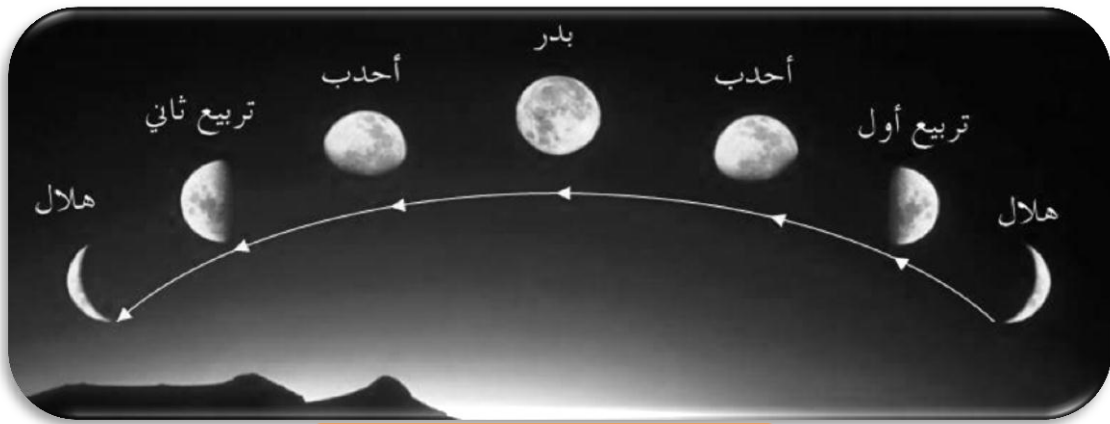
- روى الشيخ بعض الأفكار التي قد تبدو أحيانا غريبة ولكن أسندها لمفكرين، أو أنه اعتمد على أحاديث نبوية شريفة، وذلك في مثل قضية محو القمر و ما شابه.

- إن القطب الشيخ أطفيش ليس عالم فلك غير أنني حرصت على جمع ما كتب وهذا إبرازا لدوره وإظهارا لمدى تمكنه وجعله عبرة وقدوة لمن يقتدي.





شكل 02: محو القمر كما يرى من الأرض



شكل 03: أشكال الهلال السماوية وأدواره

المصادر:أولاً:

القرآن الكريم

ثانياً:

1. أحمد بن مصطفى اللبائدي الدمشقي (ت: 1318هـ)، اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء).

2- الزمخشري، (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله)، (538هـ/1143م)، تفسير الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

3- أبو حيان الأندلسي، (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين)، (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير.

4- محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني المعروف بالبُرِّي (ت: بعد 645هـ)، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة.

5. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، القاموس المحيط.

6- ابن فندمه (ت: 565هـ)، تنمة صوان الحكمة.

ثالثاً: المراجع:

1- جمال ميموني، نضال قسوم، قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم.

2- كارلو نلينو، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى.

3- عادل نويهض، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر».

4- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم.

5- محمد بن يوسف أطفيش، تيسير التفسير، الأجزاء: ج1، ج05، ج6، ج7، ج8، ج9، ج12، ج4، ج14، ج15.